الخطبة السادسة والأربعون

الربط بين تقوى الله وحسن الخلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3/ 102]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: 7/ 96].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما أكثرُ ما يُدخِلُ النار؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «الأجوفان الفرجُ والفمُ» ثم قال ﷺ: «أتدرون ما أكثرُ ما يُدخِلُ الجنة؟» قال: «تقوى الله وحسن الخلق» الأدب المفرد للبخاري – صحيح.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِقِ الناس بخلق حسن» ت – حم – ك – صحيح.

والسؤال الآن: لماذا قرن رسول الله ﷺ بين التقوى، وحسن الخلق؟

حتى نرى الجواب على هذا السؤال يجب أن نعرف كلا المعنين:

1 – **التقوى:** هي من أصل (وقى) الفعل الثلاثي، و(وقى) أي: صان نفسه وحماها عما يؤذيها. يُقال: وقى نفسه من البرد فلبس ثياباً ثقيلة، فالتقوى هي اتخاذ جميع

الوسائل حتى لا يقع الأذى والضرر بك في الدنيا والآخرة، وأكبر الضرر وأكبر الأذى هو غضب الله عز وجل، لذلك التقوى هي فعل الطاعات وترك المنكرات، حتى نحمي أنفسنا ونصونها من عذاب الله تعالى، لذلك بالتقوى يتحقق لك أمور منها:

1- الفوز بالولاية، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 10/ 62 - 63].

2- التقوى هي وصية الله للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 4/ 131].

3- التقوى تجلب الإعانة والرزق من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 65/ 2 - 3].

4- التقوى وسيلة لتيسير الأمور والمشاكل والمصاعب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 4].

5- التقوى ترفع الدرجات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 5].

قال عليه الصلاة والسلام من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «إني لأعرف آية لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 65/ 2 - 3]» رواه ابن ماجه وفيه انقطاع، بين أبي السليل وأبي ذر.

التقوى أن تخاف من غضب الله تعالى في أقوالك وأفعالك ونياتك، التقوى أن تعلم بأن الله تعالى يراك ويراقبك ويعلم خلجات نفسك، التقوى أن تكون مرضاة الله تعالى نُصْبَ عينيك أينما كنت وحيثما حللت.

2- حسن الخلق له مسارين:

الأول: عدم إيذاء الناس، وعدم الإساءة إليهم، وعدم الأخذ من حقوقهم، قال ﷺ:

«من ردّ عن عرض أخيه، ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة» الترمذي – حسن.

والمسار الثاني: الإحسان إليهم في الأقوال والأعمال والنيات. فحسن الخلق في دفع المضرات عن الناس وفي جلب المنافع للناس، قال ﷺ: «ألا أخبركم بأحبكم إلى الله، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ أحاسنكم خلقاً» ابن حبان، صحيح.

وربط رسول الله ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق فقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» الترمذي – صحيح.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «أَحْسِنْ خلقك للناس يا معاذ بن جبل» رواه ابن عبد البر في التمهيد، وفي رواية: «حَسِّن خلقك مع الناس». وفي رواية: «ولتحسن خلقك ما استطعت». وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصفح عمن شتمك» حم.

حسن الخلق يتجلى في:

1– التواضع وعدم الكبر، 2– التودد إلى الناس، 3– قضاء حاجاتهم، 4– صيانة أعراضهم وممتلكاتهم، 5– مَسْكُ اللسان فلا تظهر عوراتهم ولا تتحدث بخطيئاتهم، 6– ولا تشمت بهم، 7– ولا تحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، 8– تَذْكُرُ محاسنهم وأفضالهم وتنشر خيراتهم وتشجعهم ما استطعت، 9– لا غيبة ولا نميمة ولا شماتة ولا حسد ولا غش ولا غل ولا غبن ولا كذب ولا افتراء، قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه حسن» رواه مسلم، 10– تدخل السرور على قلبهم كيفما استطعت، قال ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم» صحيح الجامع (176)، وقال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» الترمذي – صحيح، وقال ﷺ: «كل معروف صدقة» ق.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من نفَّسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن، كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجة» رواه الطبراني والبيهقي.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبَّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً» صحيح الترغيب والترهيب (2623).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام» السلسلة الصحيحة (576) ابن أبي الدنيا.

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» متفق عليه.

وقال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» البخاري.

وقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس» رواه الطبراني في الأوسط والصغير - حسن.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 4/ 114].

11 - بر الوالدين وحسن الخلق، وبر الزوجة والأولاد، والأقارب والجيران، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 4/ 36].

12- احترام كبار السن، واحترام ذوي العلم، واحترام بيوت الناس، واحترام المساجد وبيوت الله، فلا كلام فاحش، ولا صراخ، ولا رمي أوساخ، بل بالعكس الحفاظ على المسجد ونظافته، ونظافة دورات المياه، وحفظ اللسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلطافة وأدب وحسن تصرف، هذا كله من حسن الخلق إذا كنت تفعله ابتغاء مرضاة الله.

13- من حسن الخلق عدم تتبع عورات المسلمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 49/ 12].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خيراً» رواه ابن ماجه، السلسلة الصحيحة (3420) - صحيح الترغيب (2441).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» رواه مسلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر ونادى بصوت رفيع حتى أَسْمَعَ العواتق في خدورهن: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في جوف بيته» صحيح أبي داود (4880) - حم (19776).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لما عُرِج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» صحيح أبي داود.

يأكلون لحوم الناس غيبة ونميمة وكذب وتكبر واستهزاء ومهانة ومَنْقَصَة في حقهم، إما كذبًا أو حسداً أو بغضًا، والأعراض هي شرفهم وسمعتهم ومكانتهم وأهل بيتهم، يُتَّهَمُونَ في عرضهم وشرفهم والعياذ بالله.

وقال ﷺ: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق» صحيح الجامع، (البغي): الاعتداء على الناس بأموالهم وأعراضهم وسمعتهم ومكانتهم وأعمالهم، و(العقوق): هو عقوق الوالدين.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة» حم - الطبراني.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا -تعني قصيرة- فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» رواه أبو داود.

والآن جواب السؤال: لماذا ربط رسول الله بين التقوى وحسن الخلق؟

أولاً - الله أعلم بالمراد ورسوله أعلم بالمراد.

ثانيًا - أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 33/ 72].

فما هي الأمانة التي حملناها؟ هناك أجوبة كثيرة، ولكني اخترت معنى أن الأمانة هي الحقوق، والحقوق نوعان:

1- حق الله تعالى بإقامة شرعه من عقيدة صحيحة، وإحلال حلاله وتحريم حرامه، فعل الفرائض والطاعات وكل ما أمر به الله تعالى وأمر به رسوله ﷺ، وترك كل ما حرمه الله تعالى ورسوله ونهى عنه الله تعالى ورسوله ﷺ.

2 – حق الناس، وقد بينت حق الناس في أموالهم وأعراضهم وأجسامهم وسمعتهم وفي معاملتهم، وفي كل الحقوق، فمن أتى بحق الله تعالى عليه وأتى وقام بحقوق الناس عليه فقد حقق حمل الأمانة على الوجه الذي يرضاه الله تعالى.

الذي يقوم بحق الله تعالى وحق الناس هو الإنسان الذي يتحلى بالتقوى فهو يراقب الله تعالى في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ونياته، ويريد مرضاة الله تعالى ويخاف عقاب الله تعالى، ولولا تقواه وخوفه لما حَسُنَ خلقه، لأن حسن الخلق هو نتيجة التقوى وثمرتها، وهذا الإنسان لم يكن ظلوماً لحق الله تعالى وحق الناس، ولم يكن جهولاً أو جاهلاً بالعواقب وعاقبة الأمر، فهو يعلم ويؤمن ويوقن بأن الأمانة هي في تأدية الحقوق، لذلك فمفهوم الآية: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فلم يفِ بها، أي: الأمانة؛ لأنه كان ظلوماً جهولاً.

فالإنسان الذي لا يعلم لِمَ خُلق وما الهدف من وجوده فهذا ظالم لنفسه، ولحق ربه ولحق الناس فهو يُفْسِد في الأرض كيفما استطاع ويعيش لنزواته وشهواته ورغباته، فهو جهول جاهل بما سوف يلقاه، وبما ستكون نهايته ومصيره، وقد قيل: إن التقوى إيمان وبصيرة، وحسن الخُلق سيرة ونتيجة وتعبير عن تقواه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يحشر الله الناس – وأومأ بيده إلى الشام – عراة غُرلاً بهماً، قال: قلت: ما بُهْماً؟ قال: ليس معهم شيء فينادي بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُب، فيقول تعالى: أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، قالوا: وكيف وإنا نأتي عراة غرلاً بهماً؟! قال: بالحسنات والسيئات» صحيح – كتاب السنة – حم – الطبراني.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض

الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقـًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحـًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» صحيح - سنن أبي داود.

(المراء): هو الجدال، (ربض الجنة) أي: أدناها، (أنا زعيم) أي: أنا ضامن وكفيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم